الشمس تشرق على المغرب

ألم تسمع صياحي الصارخ الصاخب في الوادي يناديكْ
يناديكْ .
ألم تلمح شحوبي اللافحَ ، السابح في الريح ، يناغيك
يناغيك .
ألم ينشر شروقُ القمر المسحور اشذاءَ امانيك
امانيك .
على الاشجار عبر السهل ، يهمسن اغانيك
اغانيك .
الى الاحلام حيث الغابة الشجراء تستهوي لياليك
لياليك .
لياليا ازاء الطلع المنثور تذروه اياديك
لتثري الارض كي يخصب وادينا ، فيجزيك
سلال الرطب الحلوّ ، واذ يستروحُ الدربُ
عبير الكلأ المبتل ، لما يورق الجدبُ
ويشدو عبر صدر الليل في الوانه الحبُ .
ألم تسمع نداءات الهوى المحزون تبكيك .
الم تلمح كآباتي الشجيات تناديك .
الم تلمح لواء الجبهة الحمراء ، خفاقاً ، يحييك
يحييك .
ألم تسمع ... اجل انشودة التاريخ في المعبر، والغابْ
وفي الآفاق ، صوب الهيكل المصدوع ، حرى، تطرقُ
« سنقتصُّ، سنقتصُ، سنقتصْ » [الباب :
... اتسمعين ضجةَ الرفاق من بعيدْ
دفاقة الاصداء ، كالينابع الغزار
والريحَ ، في الابعاد تقفو خطوة الصدى
والنسر يرخي الجنح في ظهيرة الذرى
في الظل حيث الشمس بعد الليل في المدى
مسارج مخضلة الاضواء بالعبير .
اتسمعين شهقة الجراح من قتيل
كالزهرةِ البريةِ الحمراء في الهجير
منثورة ، تبكي الغدير السمحَ ، والنسيم .
اتسمعين حشرجات الموت ، والنعيب
والشؤم ، والآهات ، في الاطلال والرسوم .
أتسمعين الناثرات الرعب والرجوم
من شاهقٍ ، يرعدن في الاجواء من جديد ؟
اتسمعين أنة المستضعف الطريد
بلا غدٍ ، يجبو الى لا شيء ، كالضرير .
اتسمعين صرخة الاكواخ ، كالسموم
مستنزفاتٍ كل عرقٍ يوقظ الحياه
والفرحة العذراء ، والتغريدَ في القلوب .
اتسمعين رنة القيود في دجى
غياهب الجباب حين يعتم المصير
وتجهش الأحلام في دموعها الغزار ؟
اتسمعين كيف عبر السجن يهزجون
من كل أمٍ عضها الاملاقُ ، من طوى
– حتى ينام الابرياء الصبية الجياع
غب انتظار – في العشي تطبخ الحجار .
من كل دارٍ قوضت قذائفُ الحريق
جدرانها المستنشقات زفرة الصديد
من كل سجن يستحل الطغمة اللئام
الذبحَ ، والقتلَ ، في ساعاته البطاء
وحيث سوط البرد في الاعماق يستبيح
هوامد الابدان ، حيث السل كالهوام
يمتص ما يبقونه في الروح من ذماء
من كل شيء ، كل شيء ، خنجر يصيح :
« اليّ بالطغيان والطغاة
اليّ بالمستنزفين الربح بالدماء
إليّ بالمستعبدين الارض فالردى
لكل جلادٍ بغيٍ جائرٍ يجوع »
اتسمعين موجة المذياع في الاثير
تدنس الآفاق « كي لا نخسر السلام
لا بد من حروب »
« فوقعوا العهود
وشيدوا المعسكرات الثم للجنود.
وهيئوا للحرب من ابنائكم وقود »
هيهات لن نموت ،

٧٨

لمن يموت الكادحون الشرد الجياع
أللوحوش المالكين المال والجيوش
هيهات لن نموت .
انى ارى شوارعَ نيويورك ، والظلام
والموتَ ، والابراجَ ، والاهوال ، واللحود
وقهقهات الأزمة الشنعاء ، واللصوص
يبعثرون الذعر ، كالديدان يزحفون
بلا جلود ، والعراة السود ينخسون
لحومَ تجار الرقيق شاربي الدماء .
وألمح القلوعَ والمرافيء الوضاء
منشورة كأنها الجمان
مستلقيات عبر ارض الدفء والحنان
والقادمين من اقاصي البحر ينشدون :
« احلام قطاع الطريق الجوف لن تسود
هيهات لن تسود
إنا بلغنا شاطيء الحرية السعيد »
... الم تسمع صدى اطفالك الايتام في الوادي يهيمون
يهيمون
بلا نجم ، بلا دار اليها يستكنون
ويأوون .
الم تسمع .. اجل اصداء محرومين مصدورين ايتام
الم تلمح .. اجل آلاف منبوذين مرضى دون احلام :
اتلمحين وحشة المكدود ، اذ يعود
ملوثَ الاطمار ، يرعى دربه الصغار
في الباب ، لو يستنطقون لحظه الخجول
لانسلّ من عينيه شيء لاهب حقود .
والام مجت للهوان الهم والقنوط
لا خبز والاطفال تزقو : اقبل العشاء
اتلمحين اللوحة الخرساء كالجليد
في الأعين الدكناء حيث يخمد الرجاء .
الارض كالمكدود ، كالمسلول ، كالهموم
كالام ، كالاطفال حين اقبل العشاء
اتلمحين صوب ذاك الحقل في الشمال
من غابة الزيتون ، تلك الاجمة الحنون
الأمسيات الزُهر ترخي فوقها الظلال
والدفء ، والأحلام ، والانداء والشذى
اتعلمين اي ميت تحتها ينام
واي مقتولٍ طريح ، كان كاللظى
من شعلة المعارك الحمراء يستنير ؟
اتعلمين ان داره التي تلوح
في آخر الطريق كانت ملجأ الرفاق
ان دب جند الليل في الاحياء يبحثون ...
واي اطفالٍ أذيقوا الآه ، والضياع
واي فجرٍ يوم للاعواد اوثقوه
... وحدق الرماة في عينيه خائفين
وبرهتان ... ثم رج قلبه الرصاص
وحفنتان من دم الشهيد تنشجان :
« اواه يا مراكش الحمراء قد هوى .. »
فاين يا مستهترون صحوة الضمير
يا مجرمون طأطأوا ، لسوف نستثير ، نستثير
احقاد آلاف اليتامى ، نبدع القوى .
اتلمحين رعشة الاحساس في الوجوه
ان هاج هدأة المساء مشهدُ السياط
اذ يستثرن الرضعَ الاطفال في المهود
والصمتَ ، حيث تقرع الابواب في الليال
فيهمس الآباء « ان شرطة تحوم »
« وانها تجوب كالاشباح ، كالظلام
مساكنَ العمال حتى مطلع الصباح »
اتلمحين الاوجه الصفراء من هزال
ومن سقامٍ شاحباتٍ ، في الضحى الخضيب
مستقبلاتٍ مولد النسائم الرطاب
والشمس ، والحرية السمحاء ، والامان .
اتلمحين نجمة الصباح ميسلون
قمرية الاداء ، رمز الخصب والنماء
انشودة الاحرار ، معنى البذل والسخاء
والمجد ، حيث الانجم الزهراء للضريح
محدقات من اعالي الافق في خشوع :
يا يوسف العظيم
يا قائد الجيوش ، يا ارجوزة الحمى
— ان عاد يتلو النصر جيشُ الشعب من وغى —
يا كوكب الصحراء حيث يهتدي الوحيد
يا ايها النشيد
أفق ، افاقت ثورة التحرير من جديد
... اتلمحين غبرة الغيوم والرعود

٧٩

يلعن من افلاكهن عالم الشذوذ
والرعب والبارود ، حيث ينحرُ الرجاء
والفكرَ ، والالهام ، والمستقبلَ البهيج
مسخرو حضارة الاجيال للدمار
والنهب ، والاطماع ، والفتوح ، يصرعون
جلائل الاشياء : الانسان والتاريخ والوجود .
فاروق ، أو مالان ، أو ارماز ، أو طريد
أوطانه المستوحد ، الرعديد ، يستعيد
في عزلة الجزيرة الجرداء ذكريات
ارهابه الممقوت ، والاجرام ، والفجور
اهؤلاء يخلصون الحب للشعوب
اهؤلاء حرروا الانسان من قيود
اهؤلاء يلهمون الارض كي تسير
نحو الغد المسحور ، حيث الدفء والربيع
والقمح ، والافياء ، والاثمار ، والسهول
... نحو الغد المسحور كي تستشرف الذرى
قوافلُ الاحياء بعد الظعنِ ، والرحيل .
اتلمحين مسرح التاريخ ... كم طوى
مساخرَ المستوحشين الغبر ، وانبرى
للفاتحين « لم يزل في اسره لويس
ولم يزل احفاده في الارض يلمحون
في كل شبرٍ دارَ لقمانٍ لهم تشاد[1] »
في اعمق الآهات في الافلاذ والصدور ،
في انضر العيون حين تطفأ الحياه ،
في اثخن الجراح حين تشخب الدماء ،
عرائس كالماس ، كالبلور ، كالصباح
في اعمق الجراح شيء لافح الصدى
كالريح ضجت حول بابي (ايها المقيم
اخرج الى الوديان ، والغابات ، والجبال
ومجّد الاسفارْ) لكن كان للثرى
(يشد اقدامي هوى بلادي العميق[2])
اموت للسرور .
لا تحزني اموت للسرور .

فحدثي العشاق ان عاشقاً يموت
كي تستظلوا الدفء والاحلام والظلال
وحدثي الرعيان ان ساهراً يموت
كي يرتع القطيع في الاعشاب والضحى .
وحدثي العمال ان عاملاً يموت
كي يهنأوا بالخبز ، كي لا يغضب الطغاة
بعد اكتداح مستميتٍ غلةَ الشهور
وحدثي الاطفال ان والداً يموت
كي يمرحوا كي لا يروا الحدائق الفساح
ملطخات بالدم المطلول والقتام
وحدثي الظلام ان كوكباً يغيب
كي تشرق الشمس التي تضيء للشعوب
طريقها المرصوف بالاشواك والحصى ...
اموت للسرور ،
لا تحزني اموت للحياه .
اموت لو تدرين كم من ثائرٍ يموت
بعدي ، وقبلي مات كالابطال آخرون .

* * *

انا الملقى هنا في الليل حولي تصفرُ الريح
الى الريح
واصغي ثمّ اصوات تحيل الأبطحَ الفيح
مصابيح
نداءات ، شعارات ، رفاقي لوّن النور
حواشي الليل ، حيث الشمس رشت غابةَ الحور
وانتم كيف تمضون وفوقي اطبق اللحد
خذوني انني الملقى بعيداً ، لم ازل اشدو ...

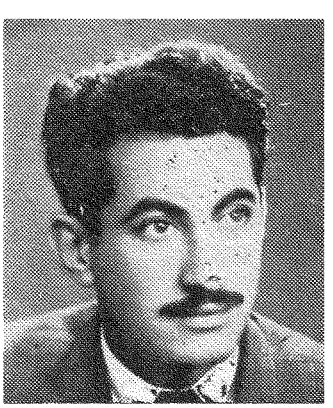

كاظم جواد

بغداد

١ لويس الحادي عشر ملك فرنسا الذي اسره المصريون بعدمعركة دمياط وسجنوه في « دار لقمان »

٢ المعنى الاصلي لفيلسوف مثالي فردي يرى ان « حب الاطفال » الذي هو نتاج الحياة الزوجية يغل الاقدام ويشدها الى الارض ... تبرير للمطامح الفردية المتحللة من اي مسؤولية .